

الباب السادس

الأدب وصناعة النجاح

أدباء نجحوا.. فلنتعلم منهم

- لطيفة الزيات وصناعة الذات
- مكسيم جوركي كاتب حارب المرارة
- باولو كويهلو يكتب للحياة
- نيتشه.. فيلسوف الإرادة وعاشق التفرد
- تشيخوف الكاتب الأهم
- نجيب محفوظ.. المنتصر دوما



لطيفة الزيات وصناعة الذات

لا أريد أن أموت موتا سلبيا .

هذا ما قالته لطيفة الزيات في غيبوبتها إثر مرض خطير أصابها وهي شابة .

لما أفاقت أوضحت أنها لا تريد الموت هربا من المشاكل .

لطيفة نجحت ولم تمت سلبيا بل رحل (الجسد) وبقيت روحها تبض بقوة في حروفها الممتلئة بالعزيمة وحب الحياة والرافضة لوأد الأحلام ولقهر الذات وللضياع حتى لو كان باسم الحب .

إحتضنت لطيفة أحلامها منذ الصغر واختارت طريقا مختلفا ونجحت في بعض المراحل وأخفقت أحيانا (وامتلكت) شجاعة التخلص من الكبوات ولم تبررها أو تسمح لها بالتمكن منها بل قامت بطردها واستعادت صنع ذاتها كما تحب لنفسها .

ولدت لطيفة في ٨ أغسطس ١٩٢٣ وغادر جسدها الحياة في

١١ سبتمبر ١٩٩٦ .

حَيَوِيَّةٌ وَإِصْرَارٌ

قابلتها قبل وفاتها بقليل؛ كانت تفيض بالحَيوية وكأنها شابة في (بداية) الطريق رغم معاناتها عندئذ من السرطان وقد تخطت السبعين من العمر.

تحدثت لطيفة بصدقها ودفئها الإنساني وإصرارها على ترك بصمات بالحياة كل عشرات الطريق.

لم تكن داعية لتحرير المرأة كما يحب البعض اختزالها بهذا الحيز الضيق بل اتسعت قضيتهما بالحياة لتشمل تحرر الإنسان والوطن من الاستعمار ومن الضياع في ذوات الآخرين.

كانت أول طالبة يتم اختيارها لسكرتارية اللجنة الوطنية العليا للطلبة والعمال التي كانت من خلالها تشجع الطالبات على الانخراط في الكفاح الوطني. ولم تكتف بذلك، وشاركت في المقاومة المصرية ضد الاحتلال البريطاني، وتم اعتقالها في عام ١٩٤٩ ووضعت بسجن انفرادي.

وفى ١٩٨١ اعتقلت ثانية وبدأت كتابة سيرتها الذاتية واختارت اسمها (حملة تفتيش).

تتميز سيرتها الذاتية بصدق نادر وإعتراف بالأخطاء دون جلد للذات أو طلب للتعاطف وواجهت نفسها بشجاعة ورقية وقدمت إبداعاً إنسانياً «يخسر» كثيراً من لم يكرر قراءته.

وفي رائعته «الباب المفتوح» لخصت لطيفة احترامها للتفرد الإنساني وحق الإنسان في الحرية وتحقيق الذات في قول البطل لحبيبته: لا أريد منك أن تفني كيانك في كياني ولا في كياني أي إنسان. ولا أريد لك أن تستمدي ثقتك في نفسك وفي الحياة مني أو من أي إنسان.

أريد لك كيانك الخاص المستقل، والثقة التي تبعث من النفس لا من الآخرين. وإذا حدث ذلك - عندما يتحقق لك هذا - لن يستطيع أحد أن يحطّمك، لا أنا ولا أي مخلوق. فقط، تستطيعين أن تلطمي من يلطمك وتستأنفي المسير وتستطيعين أن تربطي كيانك بكيان الآخرين، فيزدهر كيانك وينمو ويتجدد، وتحققين السعادة.

إزدهرت لطيفة الزياد فعملت أستاذة الأدب الإنجليزي بكلية البنات وحصلت على جائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٩٩٦، فازت روايتها الباب المفتوح سنة ١٩٩٦ بأول دورة عن جائزة نجيب محفوظ للأدب في نفس العام.

اهدتنا لطيفة إبداعات متنوعة منها : الشيخوخة (مجموعة قصصية) ورواية (صاحب البيت)

ومسرحية (بيع وشرا) ورواية (الباب المفتوح)

وحملة تفتيش: أوراق شخصية (سيرة ذاتية).

وكان لها تميزا في الأعمال نقدية فقدمت :حركة الترجمة الأدبية في مصر ومقالات في النقد الأدبي

ومن صور المرأة في القصص والروايات العربية

ونجيب محفوظ: الصورة والمثال وأبحاث كثيرة في النقد

الأدبي الإنجليزي والأمريكي.

الحبس في قفص

أهدتنا لطيفة خطوات الفوز بالذات الحقيقية نعرفها من قولها: أننا لا نتوصل إلى ذواتنا الحقيقية إلا إذا ذابت الذات بداية في شيء ما خارج حدود هذه الأنا الضيقة. ونحن نفقد هذه الذات الحققة حين نصبح محدودين محبوسين في قفص، متعلقين حول الأنا، حين نفرق في بحر من التفاهات، وفي دائرة أبدية خبيثة تستحيل إلى قدرنا ونهايتنا، ونحن إذ ذاك نفقد ذواتنا، لا بمعنى إستعاري، بل فعلا وواقعا وشخصياتنا تعاني مُتغيرات مروعة إلى حد لا تصبح معه بعد ذلك أنفسنا، تصبح الكراهية لا

الحب الإحساس السائد فينا، وتأتي التقاليد لنجدة الفرد الذي فقد أخلاقياته وأحكامه الأخلاقية الحرة، يصبح الفرد صغيراً حقيراً، حسوداً، مديناً للآخرين، متمتماً أخلاقياً بالمعنى السيئ، ويزدهر مثل هذا الشخص حين يجد الشر في الآخرين، وكان وجود هذا الشر يمنحه الثقة بالذات، أو الثقة بأنه وحده دون الآخرين على صواب.

وأعراض التغيير تتضح في فقد الاهتمام بالعالم الخارجي، وفي الانغلاق التدريجي في حاجيات الذات الصغيرة، ويتأتى أن نجد التبرير لهذا التغيير في كل حالة من الحالات الفردية والخطأ الذي يؤدي إلى سقوط مثل هذه الشخصية هو ميل عام إلى اختيار الطريق الأسهل والأيسر للخروج من المشاكل، وأسهل الطرق هو اللا فعل واللا خروج، تخيف الحياة مثل هذا الإنسان وهو غير راغب ولا بقادر على الإشتباك معها من جديد، وهو يتوهم حين يتنازل كل مرة أنه إختار راحة البال، ولكنها راحة بال مؤقتة تؤدي في نهاية المطاف إلى الإصابة بالشلل أو العجز الكامل عن الحركة والفعل.

أخيراً نقول ما رددته لطيفة عند وفاة أخيها المقرب لقلبها:
أبيات من شعر كريستينا روزيتي كانت تحفظها في صباها المبكر وترددت في إلحاح على عقلها:

الملاح يعود إلى البيت

إلى البيت يعود

من البحر الطويل الطويل يعود

ونتذكر قولها البديع : أعلم الآن أن علي الإنسان أن يروي

الشجرة إلي أن تخضر ودون أن ينتظر أن تخضر .



مكسيم جوركي كاتب حرب المرارة

نقرأ الأدب لنفهم المزيد من أسرار النفس البشرية، يشكل الأدب الروسي (كنزا) لكشف خبايا الانسان .

قدم الأديب الروسي مكسيم جوركي ابداعات مميزة تفيض باحترام الإنسان وتتغنى بحياة صادقة بلا زيف ولا قهر.

ولد مكسيم عام ١٨٦٨ وتوفي في ١٩٣٦ .

اختار مكسيم اسم جوركى كلقب مستعار له ويعني باللغة الروسية (المر) ليعبر عن المرارة التي كابدها الروسيون أثناء الحكم القيصري.

من أهم ابداعاته رواية الأم ومسرحية الحضيض ورواية طفولتي.

كابد مكسيم مرارة فريدة حيث مرض بالكوليرا وكان والده يرعاه فأصيب بالعدوى وحملته أمه مسئولية موت والده.

تزوجت والدته بعد وفاة والده حاول مكسيم قتل زوجها عندما ضرب أمه وهدده بالقتل إذا أذى أمه ثانية فطرده إلى بيت جده حيث حكته له جدته القصص بأسلوب جذاب جعلته يحب الأدب.

في رائعته (طفولتي) حكى مكسيم بعد موت أمه قال جده : لا بد لكل إنسان أن يموت حتى العصافير تموت، إن كنت تريد ذلك فسوف أضع العشب حول قبر أمك هل تحب ذلك؟ سوف نذهب إلى الحقول الآن ونجمع ذلك العشب ، سوف نقتطع ونضعه حول القبر ولن يكون هناك قبر هنا ينازعه جمالا .أعجبتني هذه الفكرة ، فذهبنا جميعاً الى الحقول بعد أيام من وفاة والدتي قال لي جدي : حسناً ، يا الكسي إنى بالضبط لا أستطيع أن أبقىك ميدالية معلقة في عنقي ليس لك من مكان بعد اليوم وهنا ، فقد آن لك أن تخرج إلى ما بين الناس ، وهكذا خرجت إلى العالم .عاش مكسيم يتيم الأب والأم وهو في التاسعة من عمره ، تتقل بين المهن لكسب العيش وهو طفل وتوفي أخوته جميعا،عمل كبستاني وصياد و حارسا في محطة القطار ومهن أخرى .

يقول مكسيم: في الخامسة عشر من عمري رغبت بشدة في التعلم واتجهت إلى قازان لاعتقادي بأن العلم يقدم مجانا، وكنت مخطئا ،عملت بمخبز لصنع المعجنات مقابل روبلين في الشهر. وكان العمل هناك من أشق الاعمال التي مارستها في حياتي» .

وفي سن ١٩ عاما حاول الانتحار لشدة الفقر فحصل على مسدس واطلع على تشريح جسم الانسان ودرس المكان الذي يوجد فيه القلب ليوجه المسدس نحوه وأطلق النار على نفسه ولكنه نجا من الموت .

الحلم والواقع

تعرف في قازان على حياة المشردين عن قرب ولمس أوجاعهم ليعبر عنها فيما بعد في رائعته (الحضيض). تدور أحداثها حول المتشردين البائسين الذين بالكاد يناضلون ويفعلون المستحيل فقط للبقاء على قيد الحياة.

عشق مكسيم قراءة الكتب وأهدى أول كتبه لأحد أصحاب الأعمال الذي سمح له بالاطلاع على مكتبته. أجاد جوركي وصف مرارة الروسيين في رائعته (الأم) حيث معاناة الأم مع زوجها السكير الذي يتنفس المرارة لسوء أوضاعه كعامل يتقاضى الفتات ويسعى الابن وصديقه لتخليص العمال من الظلم وتقوم الأم بحماية ولدها وتخفي المنشورات والأسلحة ويموت زوجها في معركة لا علاقة له بها ويسجن الابن وتكمل الأم مسيرته لتحقيق حلمه ويتحرر السجناء ويقتل الابن وتواصل الأم السعي لتحويل حلمه لواقع.

لا شيء يعبر عن معتقدات وجوهر الكاتب أكثر من أقواله.

يقول مكسيم : أقدس إستياء الإنسان من نفسه، والذي يدفعه إلى الأفضل .

تبدو السعادة صغيرة عندما تكون بين أيدينا ، لكن أتركها ،
وسوف تدرك حجمها وقيمتها .

لا نستطيع أن نعمل من دون فلسفة ، فهناك لكل شيء معنى
مخفي يجب أن نعرفه .

عندما يكون العمل مُتعة تكون الحياة مبهجة، أما إذا كان
واجبا تكون عبودية

الإنسان الحي يبحث دائماً عن شيء.

لن تستطيعوا مهما فعلتم أن تقتلوا روحاً بعثت من جديد .

واصل قراءة الكتب ، ولكن تذكر أن الكتب تبقى كتباً وأن
عليك التفكير بنفسك.

ما يعلمك إياه الناس يأتيك في ألم و قسوة أكثر مما تعلمك
الكتب.

إن اليوم الذي لا يمر بك دون أن تعرف فيه شيئاً أو تكشف
في نفسك جديداً ، أعلم أنك لم تعيش فيه ، وأن جزءاً من حياتك
قد ضاع منك إلى الأبد .



نيتشه . . فيلسوف الإرادة وعاشق التفرد

٥٦ عاما فقط هي ما عاشه نيتشه حيث ولد نيتشه ١٥ أكتوبر عام ١٨٤٤ وفي ٢٥ أغسطس ١٩٠٠ رحل الجسد وبقي الإبداع .
عرف نيتشه الوجد مبكرا حيث مات والده وهو بالخامسة من عمره .

تفوق في دراسته دائما وبسبب نبوغه في اليونانية القديمة أصبح أستاذا جامعيا ولم يستمر بالجامعة واستقال .

دعا للتعرف على الذات والانتصار على المعوقات للوصول للإنسان الأرقى أو «السوبرمان» الذي يتمتع بالإرادة والتفكير والقوة ليتمكن من تغيير واقعه وصنع حياته .

لم يستهن نيتشه بالصعاب واعترف بها وأكد أن النجاح لا يجتمع مع الراحة؛ سخر نيتشه من طالبي الراحة وقال: وماذا تعرفون عن السعادة أيها المرتاحون؟

لعل أبرز ما جاء به نيتشه رفعه لقيمة العقل ودوره في التغلب على مصاعب الحياة وإبرازه لدور المبدعين في هدم كل ما يعيق انتصارات الإنسان وبناء كل ما يدعم قوة الإنسان ومطالبته بأن يكون المجتمع داعما ومساندا للفرد سيما المميز .

اهتم بكل ما يدفع الإنسان للأمام وطالب بتجاوز الذات أي أن يكون الإنسان أفضل حالا من ماضيه وإن استطاع تحسين نسله فليفعل.

أوجاع وهزائم

تَوَعَّت أوجاعه فيما بعد من التعرض لأمراض مختلفة أنهكته لألم الخذلان العاطفي من تجارب متعددة تعرض فيها لرفض حبه.

خاض نيشته جولاته مع الألم، إنتصر أحيانا وتجرع الهزيمة مرات.

عاش بطريقته وهو القائل: أن أحيأ كما أريد أو لا أحيأ إطلاقا.

لم ينحن للواقع واحتضن الابداع ونجح كفيلسوف وككاتب ولم يستمر في محاولاته لتأليف الموسيقى الكلاسيكية التي أحبها. تأثر بالفيلسوف الألماني «شوبنهاور» مبكرا وبالموسيقى «فاجنر» وغاص بأفكار زاردشت ثم أنتج مفرداته الخاصة المتفردة وأستحق أن يكون من أهم فلاسفة أوروبا.

قدم إبداعات متنوعة بالفلسفة والفكر وامتزجت بالشاعرية ومنها: «الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي»، وأهم كتبه «هكذا

تكلم زارادشت «الذي قدم فيه أهم أفكاره الفلسفية، و ما وراء الخير والشر»، و «إرادة القوة»، و «جينالوجيا الأخلاق» و جينالوجيا تعنى علم الأنساب.

كان رأي نيشته في المرأة بشكل عام سلبيا ويبدو واضحا فيه ناقما على صدماته العاطفية وتجاربه السيئة مع المرأة وهو ما يتشابه به مع أرسطو.

ووصفها بنصف البشرية الضعيف، المضطرب، المتقلب، المتلون.

وأكد أن حب المرأة ينطوي على تعسف وعمى البصيرة عن كل ما لا تحبه وأن المرأة كائن غير قادر على الصداقة.

إعرف ذاتك

نادى نيتشه باعتماد الإنسان على نفسه واهتم بمعرفة الذات وهو أهم ما يميزه كفيلسوف ومفكر وفهم الحياة جيدا وتأمل متناقضاتها ومنغصاتها بعمق يظهر في كتبه التي يتضمنها بعض الحكم القصيرة الكاشفة عن اشتباك حقيقي مع الحياة دفع نيتشه أثمانه من صحته ومن عمره، ولن يعطينا الحكمة مثل متألم فما بالنال لو كان فيلسوف ومبدعا.

لنتأمل بعض من أقواله ونعيش مغزاها:

عندما نفكر كثيرا وبذكاء لا يتغير الوجه فقط، بل إن الجسد بكامله يلبس الذكاء.

عليك أن تصالح نفسك عشر مرات في النهار لأنه إذا كان
في قهر النفس مرارة فإن في بقاء الشقاق بينك وبينها ما يزعج
رقادك: أن تجد عشر حقائق في يومك كيلا تضطر إلى السعي
ورائها في نومك فتبقى نفسك جائعة.

أقيس قوة العقل بمقدرته على تحمل الحقيقة.

أتراك تريد حياة سهلة؟ فابق قريباً من القطيع وانس نفسك
فيه .

المتعصبون صور فاتنة للعامة، لأن البشر يفضلون رؤية
إيماءات تافهة بدلاً من أن يسمعوها صوت العقل.
الكذبة الأكثر إنتشاراً هي كذب الشخص على نفسه.
المفيد يثير إستيائنا إذا كنا لم نبلغ بعد سن إدراكه.
كثيراً ما نرفض فكرة ما لمجرد أن النبذة التي قيلت بها تثير
النفور .

لا تبدأ بدراسة نفسك اثناء مرورك بتجربة ما .

إن الإنسان حقاً لأشد الحيوانات فظاعة .

صوت الجمال همساً يتكلم: إنه لا يتسلل إلا إلى الأرواح
اليقظة .

لا تحقد طويلاً في الهاوية حتى لا تلتفت اليك.

وحدة البعض هي هروب المرضى، و وحدة البعض الآخر هي الهروب من المرضى.

الحرية هي الرغبة بأن نكون مسؤولين عن أنفسنا.

لا تتخذوا لكم من الأعداء إلا من يستحق البغضاء وتجاوزوا عن عدااء من لا يستحق إلا الإحتقار، إذ عليكم أن تتباهوا بعدوكم. ستكون جاحداً لفضل معلمك، إذا ظللت تلميذاً طوال حياتك.



باولو كويهلو يكتب للحياة

يحتضن باولو كويهلو الحياة بوجوده ويهديها للقراء بكل ابداعاته .

يحتل باولو مكانة فريدة بالأدب المعاصر ويمنح مرعيه الأفكار الايجابية والطاقات المتنامية لخوض غمار الحياة بقلوب لا ترى إلا حتمية النجاح أو كما قال في رائعته «ساحرة الصحراء»: ليس هناك سوى شيء واحد يمكنه أن يجعل الحلم مستحيلًا الخوف من الفشل، وهي أشهر رواياته وتمت ترجمتها الى ٦٧ لغة ووصلت مبيعاتها إلى ١٥٠ مليون نسخة. تحكي عن راع للغنم أسباني عرف بوجود كنز مخبوء له بمصر بجوار الأهرامات، باع خرافه وبدأ رحلة البحث عن كنزه وتعرض لعقبات كثيرة تمنع استمراره بالرحلة وتصدى لها بمثابرة حتى تجاوزها .

ينادي باولو باحترام الأسطورة الشخصية لكل إنسان وعدم تجاهل الإشارات والعلامات التي نتلقاها جميعا بفترات حاسمة بحياتنا والإنصات باحترام لقلوبنا وعدم تجاهلها .

أسطورة شخصية وانتحار

يؤكد باولو أن الحياة كريمة فقط مع من يعيش أسطورته الشخصية وكلما اقتربنا من تحقيق أحلامنا أصبحت الأسطورة الشخصية دافعا حقيقيا للحياة .

ونتأمل أحد شخصيات الرواية عندما اقترب من تحقيق حلمه فخاف وتراجع لأنه يحلم فقط ولا يريد أن يتحقق الحلم لأنه لا يعرف ما بعد ذلك.

ويصف بطل الرواية إن روحه حرة مثل الغيوم ، تتجول في السماء، لكنه ملتزم بتحقيق حلمه، يجد نفسه وهو يسير في الطريق التي اختارها لنفسه.

أما روايته «فيرونيكا تقرر أن تموت» فتحكي عن فتاة عمرها ٢٤ ، تتوافر لديها متع الحياة وتتحرر لضيقها من الملل.

ثم أفاقت بمستشفى للأمراض العقلية وأخبروها أن لديها أسبوع واحد بالحياة والتقت بنماذج لم تقابلها من قبل اقتربت بعمق من تفاصيل حياة كل منهم ، خرجت من قوقعتها وهناك تعلمت التحرر من قيود الاهتمام بأراء الآخرين واستمتعت بفعل ما تريده بحرية ورأت تفاصيل حياتها بوضوح لم تعرفه قبلا.

يهمس باولو إنها تعتبر كل يوم جديد معجزة، وبنبه: أنت شخص مختلف ، لكنك تريدين أن تكوني مثل الآخرين، وهذه علة خطيرة.

أما ابداعه الجميل «محارب النور» فيتأمل برقي في النفس الانسانية بضعفها وقوتها بأملها وبأسها. تحكي عن محارب يتمتع بحكمة وتجارب يقوده إيمانه وإلهامه للخير والنصر.

ونتوقف عند بعض أقواله التي تنير العقول وتوسع القلوب

يفتح المحارب قلبه للكون ويطلب من الله أن يعطيه الإلهام الذي يحتاجه كي يحول كل ضربة يتلقاها من خصمه إلى درسٍ في الدفاع عن النفس.

ويهدينا حكمة صينية إقنع خصمك بأنه لن يكسب الكثير من مهاجمتك لأن ذلك يقلل حماسه كثيرا .

يسمع المحارب قول أريد فهم كل شيء قبل أن أتمكن من إتخاذ قرار ما وأريد أن أحتفظ بحريتي في تغيير قراري.

محارب النور هو الشخص الذي يؤمن بمعجزة الحياة يواظب ويحارب بجسارة من أجل تحقيق أحلامه وما يؤمن به .

محارب النور يقدر عيني الطفل فهما قادرتان على النظر الى العالم بدون مرارة. وحين يرغب في معرفة ان كان من يحالفه جدير بثقته، يحاول رؤيته بعين طفل.

لو انتظر المحارب اللحظة المثالية فلن يبدأ رحلته، لذلك يتطلب مسحة من جنون ليتخذ الخطوة التالية.

من لايشك بنفسه غير جدير بالاحترام.

مبارك ذلك الذي يمر بأوقات الحيرة والشك.

أنت على قيد الحياة لأنك لم تصل بعد إلى حيث يجب أن
تصل.

ليست المطرقة هي التي جعلت الصخور بهذا الكمال بل هو
الماء بعذوبته و رقصه وغناؤه.

إذا سرت في درب أحلامك التزم بالطريق لا تحتفظ لنفسك
بباب للخروج لأنك في هذه الحالة تحمل بداخلك بذرة الهزيمة.



تشيخوف الكاتب الأهم

خسر كثيرا من فاته قراءة تشيخوف الذي استحق بجدارة مكانته كأهم كاتب للقصص القصيرة بالتاريخ، غاص تشيخوف بالبنفس البشرية، أحس أوجاعها، احترم انسانيته واحتضن النقاء دوماً .

عاش وسيعيش أدب تشيخوف لأنه لم ينغلق على ذاته بل انفتح على الإنسان ككل بصدق وشغف ورغبة نبيلة ومخلصة في تخفيف العذابات ومحوها .

تحولت معظم مسرحياته وقصصه لعروض مسرحية وأعمال سينمائية وتليفزيونية لصدقها فهو القائل: لا يجوز أن يجلس الكاتب بين أربعة جدران وأن يستولد المواضيع من ذاته، بل عليه أن يرى الحياة والناس ويلمس الواقع، ويستمتع لأحداث القوم ولا يتخيّلها .

ولد تشيخوف في ٢٩ يناير ١٨٦٠ وتوفي في ٣ يوليو ١٩٠٤، ولم تكن حياته ورديّة، فقد أعلن والده إفلاسه وتحمل تشيخوف إعالة أسرته بجانب دراسته للطب وكانت أمه ترأسه قائلة: يا ولدي القوي الذي يحتمل أي مشقة بصمت. وكتبت أيضا: بحق الله أرسل لنا النقود بسرعة حتى لا أموت كمداً. وصرح تشيخوف أنه تعلم القص من أمه وكتب: «لا يستحق أي شخص بهذا العالم الكريه محبتنا أكثر من أمهاتنا» .

تحدي وسيطرة

تمكن الكاتب الأهم من تحدي الفقر وتخرج طبيبا وعالج الفقراء مجانا وكتب مئات القصص وواصل العمل حتى آخر لحظة بعمره رغم مرضه بالسل وكيف لا يفعل وهو القائل: إن ما يحتاجه الإنسان هو العمل المستمر ليل نهار، والقراءة الدؤوبة، والدراسة، والسيطرة على الإرادة، فكل ساعة من الحياة ثمينة.

نعرف جوهر تشيخوف من معاصريه، قال مكسيم جوركي عنه: كانت الدناءة عدوه قاتل ضدها طوال حياته، وكشف عنها سترها بريشة نزيهة بارعة مكتشفا عن الدناءة حتى حيث يبدو للوهلة الأولى أن كل شيء مرتب على أحسن ما يكون الترتيب.

وقال بونين: لم يسمعه أحد يشكو وكان لديه ما يستحق الشكوى، لقد طاردته الحاجة طوال شبابه وناضل ليحصل على القوات في وسط كفيل بأن يقتل أقوى درجات الإلهام، وعانى ١٥ عاما من مرض عضال أفضى به للموت، ولكن شجاعته عبر المرض وبساعات الموت كانت مذهلة.

من قصصه السيدة صاحبة الكلب، الرهان، وفاة موظف، الحرياء، مبارزة، عنبر رقم ٦. ومن مسرحياته الخال فانيا، طائر البحر، بستان الكرز، والشقيقات الثلاث.

لتشيوخوف رؤية خاصة «ونبيلة» للمثقف فيقول: المثقف يحترم الشخصية الإنسانية، لذا تراه دوما لطيفا مهذبا باسطا كفه للأخرين بسماحة وتواضع، ولا يرى لنفسه فضلا على الآخرين، ولا يتتكر لمن كان يألفه في الماضي،

وقلبه يئن حتى لآلام من لا يراهم ولا يعرفهم، يجلس ليلا يفكر كيف يساعد الآخرين.

المثقف لا يكذب حتى في توافه الأمور، فالكذب إهانة للمستمع وتقليل من شأنه ولا يتكلف فيتصرف في الشارع كما يتصرف بالبيت، ويتجنب المباهاة بما يملك، ويعرض عن الثرثرة وفرض قناعاته على الآخرين.

لنتأمل بعض أقواله لنتعرف على عالمه:

لو فعل كل إنسان ما بوسعه لتجميل رقعة الأرض الصغيرة التي يعيش فوقها بالحب والتفاهم ولسات الجمال لصار كوكبنا فتنة للأنظار.

لا يرتقي الإنسان إلا عندما يلمس بيده حقيقة الحياة التافهة التي يعيشها.

اللامبالاة هي شلل الروح، إنها موت مبكر.

على الإنسان أن يتحلى بالإيمان، أو أن يبحث عن الإيمان،
وإلا فستكون حياته فارغة.

عليك أن تعرف لماذا تعيش، وإلا فإن كل شيء سيكون تافها
ولا يساوي قشة.

حن لا تحب المكان استبدله، حن يؤذيك الأشخاص
غادرهم، حن تمل ابتكر فكرة جديدة، حن تحبط أقرأ بشغف
المهم في الحياة ألا تقف متفرجا.

الشمس لا تشرق في اليوم مرتين، والحياة لا تعطى مرتين،
فلتثبت بقوة ببقايا حياتك ولتتقدها.



نجيب محفوظ .. المنتصر دوما

لو لم يكن نجيب محفوظ موجودا لخسر الأدب العربي أحد أهم أعمدته وأصدقها وأجملها، ولخسر القراء منبعا راقيا وعبقريا يمد عقولهم وقلوبهم بفيض شفاف وعذب وبديع يروي ظمأهم للانتعاش بروعة الابداع للتخليق بعيدا حينا وللغوص أحيانا في الواقع لفهمه ورفض قبحه واحتضان نوره وإن قل وخفت.

ولد محفوظ في ١١ ديسمبر ١٩١١ ورحل جسده في ٣٠ أغسطس

٢٠٠٦ .

نجيب محفوظ كان يحترم الحياة ، فحافظ على وعيه ومتابعته للأحداث حتى اللحظات الأخيرة ، فكان يفيق من الإغماء فيسأل عن أحوال لبنان الذي تعرض لحرب من إسرائيل عندئذ .

يسمع ويضحك

انتصر نجيب محفوظ على تصوراته عن الحياة والناس؛ فكان يرى الناس كما هم في الواقع ، وليس كما يُريد أن يراهم ، وكان يحترم الإنسان ، بغض النظر عن مكانته الاجتماعية ، واستطاع أن يتغلغل في النفس البشرية ويسير أغوارها ، كما كان واقعيًا ، فلم يَقم بدور المنظر أو الفيلسوف؛ لم يدع يوما أنه مُصلح اجتماعي جاء ليُصلح الكون وكان « يسمع أكثر مما يتكلم » .

انتصر على الشهرة وعاش إنساناً بسيطاً ومتواضعاً ، حتى بعد حصوله على جائزة نوبل للأدب ، وكان يحب الإنسان البسيط ويسعى لتصوير آلامه وأحلامه ويعبر عنها بصدق شديد ، دون أن يتاجر بها ، وكان يضحك من قلبه ، ويسعد بالسير بين الناس ، ويصافح من يُقابل في سيره من بسطاء الناس ، بينما نرى - للأسف - اليوم أنصاف أدباء ومثقفين يقتلهم الكبر و الغرور .

اعتذر ولم يكابر

انتصر أيضاً على الابداع فعندما كتب رواية «أولاد حارتنا ، كتبها وهو على قناعة بأنها نوع من الإبداع الأدبي ،وراجعه عدد من العلماء، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - ولفت نظره إلى ما فيها من تجاوزات لاتليق بالذات الإلهية والثوابت الإسلامية ،تراجع عنها واعتذر ولم يكابر ، بل وحارب بنفسه لمنع نشرها ،وطالب بالألأ يعاد نشرها إلا بعد موافقة الأزهر الشريف ، رغم أن الكثير من أصحاب المصالح الفكرية والثقافية وقتها حاولوا الوقوف بجانبه ضد الموجة الغاضبة من الرواية ، لكنه أبى أن يسايرهم لأنه أيقن أنه قد أخطأ .

انتصر نجيب على الحياة ولم تهزمه رغم ما ألمت به من أزمات ومعوقات فالمنتصر من لم يلق سلاحه ولم يفقد ضحكته و حبه للحياة وحافظ محفوظ على قلمه ووعيه وضحكته حتى النهاية وتنافس حب الحياة وغرد للحرية وللبراح الانساني وخاصم كل ما يخضم من الانسان .

انتصر على الابداع فلم يكن عبدا له فلم يكتب إلا مايرضيه ويشبعه كمبدع وليس مايريده أو يتوقعه منه الآخرون وانتصر على المرض وعلى العزلة بسببه وانتصر على الذات فصرح أن توفيق الحكيم أحق بنوبل وانتصر على الموت فصنع إبداعا لا يموت.

وانتصر على ضيق الابداع وتناقضه -كما يحدث للكثيرين- والسجن باطار واحد فتنوع ابداعه فنشر قصصا قصيرة مثل: همس الجنون وخمارة القط الأسود وغيرها ورواياته الكاشفة لتاريخ مصر والتفاصيل الدقيقة لحياة المصريين بداية ب عبث الأقدار وكفاح طيبة ورادوبيس ومرورا بالقاهرة الجديدة وزقاق المدق وخان الخليلي وبداية ونهاية والثلاثية واللص والكلاب والكرنك والسمان والخريف والشحاذ -الرواية الكاشفة للصراع الانساني الداخلي- ورواية السراب حيث متعة الغوص النفسي في حياة أبطال الرواية وعشق التاريخ فمنحه غوصا منفردا، وأحسن ختام ابداعاته بأصداء السيرة الذاتية وأحلام فترة النقاهاة وبهما خلاصة عبقريته وامتزاجه الواعي بالحياة وغوصه المنتبه لتفاصيل النفس البشرية بضعفها وقوتها، نبها وخستها ولو لم يقدم للابداع وللدنيا سواهما لكفاه ومن لم يقرأهما فاته الكثير والكثير.

هزم اليأس

انتصر نجيب على اليأس عندما «خاصمه» الابداع لسنوات ولم يسمح بانتهاؤه وثابر حتى استرده وكيف لا يفعل وهو القائل:
الابداع مجاهدة؟

وانتصر على محاولات استدراجه لمعارك ابتغي البعض منها استنزافه والنيل منه وآخرون اشتهاوا الشهرة بمهاجمته فانتصر عليهم وتجاهل الرد وصان عمره وادخره لابداعه وهو القائل:
لا تتدم على صمتك فنحن نخسر الآخرين دائماً بسبب كلامنا الزائد وليس صمتنا الزائد .

اعترف محفوظ بفضل والدته على تكوينه حيث حرصت على اصطحابه للمتاحف منذ صغره وشجعتة على القراءة وقال:
المستهيّن بقدرات النساء أتمنى أن تعاد طفولته بدون أم .

وانتصر على محاولة اغتياله عام ١٩٩٥ والتي حرمتة من القدرة على استخدام يده وتعلم بدأب الكتابة ليوصل ابداعه وسامح من حاول قتله .

وانتصر على نفسه كمبدع بملحمة الحرافيش بزخمها النابض ووجهها المتفرد وتفاصيلها البديعة وانتصر على المال وتحرر من هيمنته وتبرع بجزء كبير من جائزة نوبل لعمل الخير .

انتصر محفوظ على الوظيفة فلم يسمح لها باغتيال ابداعه ووظفها لزيادة التحامه بالواقع فقد عمل موظفا بهيئات متعددة مثل الأوقاف والرقابة على المصنفات الفنية والمؤسسة العامة للسينما منذ عام ١٩٢٨ حتى تقاعده في عام ١٩٧١ حيث انضم لمؤسسة الأهرام وأصبح كاتباً بها.

وحقق الانتصار على الشيخوخة وضعف السمع والبصر باحتضان وعيه وحبه للحياة وضحكته الصافية الصادقة، وعندما تعرض لأزمات صحية بأخر أيامه ودخل بغيوبة ولما أفاق سأل عن أخبار الحرب على لبنان وقتئذ، وأثبت أن الوعي يعطي للحياة قيمتها وأن صحة العقل تقهر ضعف الجسم وأكد صحة مقولته: الضعيف هو الغبي الذي لا يعرف سر قوته وقوله: الخوف لا يمنع من الموت ولكنه يمنع من الحياة.

